***الأستاذ بلعربي محمد
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية
شعبة الفلسفة
المحاضرة الرابعة في مقياس
نظريات الاتصال
العنوان.  : التواصل في الوعي الفلسفي*  الأنظمة الرمزية عند ارنست كاسيرر**

إذا كان ديكارت يُفرق بين الإنسان والحيوان بالطبيعة فالحيوان له كذلك عقل ..فإن أرنست كاسيرر  1945 يرى \_ في الأنظمة الرمزية\_ أن الإنسان كجزء من الطبيعة يتفوق على الحيوان بالدرجة . فالإنسان أكثر تطورا من الحيوان إلى الدرجة التي تجعله يتميز جذريا عنه . إن هذا التميز هو الذي يجعله قادرا على الإبداع...أي قادرا على إنتاج الوسائطles intermédiaires التي تمكنه من التواصل مع العالم و مع الآخرين...ويرى كاسيرر ان العالم الإنساني تمكن من تحقيق تحول نوعي يفرق الحياة الإنسانية عما سواها بشكل نهائي...ويضيف كاسيرر أن هذا التحول ليس في "الكم" فقط من حيث اتساع دائرة الوظيفة ولكن. في اكتشاف الإنسان لمنهج جديد جعله يكيف نفسه يحسب مقتضيات البيئة إلي يعيش فيها فقد استطاع الإنسان أن ينتج واقعا جديدا خاصا به، واقعنا يقوم على الوساطة وسلطة الأنظمة الرمزية..ومن ثم تصبح له هذه القدرة على الترميز ( صناعة الرموز) أي أن يتواصل بواسطة هذا الجهاز الرمزي الذي ينتج دلالات يتشكل بواسطتها معنى العالم ( كاسيرر: الأشكال الرمزية) لقد انتقد كاسيرر " روسو" الذي اعتبر تحول الإنسان نحو اكتساب خصائص جديدة غير طبيعية ( ثقافية) دليلا على فساده وانحطاط الإنسانية .

يرى روسو أن ما في الإنسان هو طبيعته أي هو الأصل الطبيعي ، وكل إضافة غير طبيعية إلى الإنسان لا تؤدي إلا إلى فساده.( العقد الاجتماعي).

إن رومانسية روسو جعلته ينتهي في تفكيره إلى أن إنسان الطبيعة أفضل حالا من إنسان الإنسان مما جعله لا يتردد في الإقرار في العقد الاجتماعي بأن الإنسان خيّر بالطبيعة، والمجتمع هو الذي أفسده . لكن كاسيرر يرى أن الأنظمة الرمزية تميز الإنسان باعتبارها نشاطا أصيلا لا يمكن أن يرتبط بشيء غير العقل البشري وقدرته على التكيف، بل لا يمكن أن نتحدث عن واقع إنساني قبل هذه الأنظمة الرمزية لأن الواقع لا يصبح معقولا إلا بفضل الأنظمة الرمزية فهي شرط تعَقُّل الواقع تماما مثلما أن المفاهيم القبلية عند كانط تمثل شرط إمكان التجربة ذاتها. الرمز والإنسان لا ينفصلان
لا يتحقق التواصل إلا بالرموز ومن خلالها. وبعض هذه الأنظمة الرمزية مثل الفن، العلم،الأسطورة،الدين الايديولوجيا والقواعد الأخلاقية كل هذه الأنظمة الرمزية تحقق تواصلا معرفيا ووجدانيا بين الذوات..

وكان كانط يرى في مؤلفه: نقد ملكة الحكم أن الحكم الجمالي هو الذي يمكن لوحده\_ على عكس التواصل المعرفي والأخلاقي \_ من تحقيق تواصل بين الذوات ( جمع ذات) . إنه كاشف عن حقيقة الإنسان لأنه يتم من دون مفاهيم، وهو التواصل الإنساني. فالتواصل عند كانط هو هو تتواصل معرفي، أخلاقي، وذوقي..إن ما ذهب إليه كانط في مسألة التواصل هو الذي ستنتبه إليه الفلسفة المعاصرة والانتروبولوجيا الثقافية ( كاسيرر) التي اهتمت بمكانة الوسائط الرمزية في الوجود الإنساني ودورها في تحديد شروط العيش المشترك لتحقيق : **التفاهم والتوافق والتبادل والتحاور والتثاقف...**

يرى" إتيان سوريو" في معجمه : المصطلحات الجمالية أن التواصل في مفهومه العام يدل على الانفتاح وهو يشير الى الممر الذي بواسطته يمكن للأفراد والأشياء أن تنتقل "
التواصل في الفن يدل على سهولة التبليغ والتوصيل كما يثير مسألة الفنان و الجمهور وهنا يحدث التواصل عن طريق الوجدان و وحدة الشعور. إن وحدة الشعور تدل في نظر" إتيان سوريو" على النجاح الأقصى لعملية التواصل، فالموسيقي و الرسام، والشاعر كلهم يحققون تواصلا بينهم و بين جمهورهم. فالشاعر يصل جمهوره في لحظة الإلقاء، وهذا تواصل آني لكنه يستمر كتواصل لاحق مع القراء الآخرين . إن تواصل الشاعر لا ينقطع سواء في لحظة الإلقاء أو في اللحظات التي تتبع في الزمان. التواصل في الدين الدين كنظام رمزي يقوم على التواصل بين المؤمنين به. الدين منظومة عقائد وطقوس و رموز تعكس تعلق الإنسان بالمقدس، وتفترض الإيمان بقوة مطلقة غيبية ( فوق طبيعي+ مفارق)
مميزة عن الدنيوي هي أصل وجود الكون و الإنسان ومصدر جميع النعم التي يتمتع بها الإنسان.
**عبادةَ المقدس:**

المؤمن ملزم بالطاعة المطلقة لكافة الشرائع التي سنها الدين أملا في الثواب و خوفا من العقاب . ويمتد التقديس أي الاحترام والإجلال من موضوع العبادة الأصلي ( عبادة القوة الغيبية) إلى سائر للأحداث والوقائع والأوقات و الأشخاص والرموز التي يفرضها الإيمان به. ويرى دوركهايم 1917 أن الدين مؤسسة قوية ومنظمة لها قوانينها التي توحد المؤمنين بها في تواصل مستمر بينهم من جهة ومع فكرة الألولهية التي يؤمنون بها. ويتجلى التواصل داخل الدين من خلال احترام الأشخاص للمقدس ومن خلال نفورهم من المدنس، وهما في نظر دوركهايم عالمان منتناقضان ولا يلتقيان إلا في الموقف الذي يوحد المؤمنين اتجاههما....أي أن احترام للمقدس والنفور من المدنس هو ما يخلق التواصل بين المتدينين وهو تواصل يقوم على التشابه في الموقف إزاء التقديس والتدنيس.
ويذهب رولان بارت إلى أن التواصل والاتصال يحدثان بين الناس من خلال العلامات والإشارات التي تحمل دلالات معينة ،فالعالم مليئ بالعلامات وبالبلاغة في صورها المتعددة : لغة ، علامات إشارات رموز إشهار ،لوحات ....وكل هذه وسائل تؤدي رسائل ودلالات معينة تسهل التواصل بين الناس...( البلاغة الجديدة. ص 76).

**الأسطورة والتواصل** :

للأسطورة دور بليغ في أداء وظيفة التواصل...ورغم التعريفات المتعددة التي تحيط بالأسطورة وتحاول أن تحصرها في تعريف محدد إلا أن الوظيفة الرئيسة التي يركز عليها علماء الأنتربولوجيا هي وظيفتها التواصلية ذلك أن الأسطورة على قدمها وارتباطها بالحياة البدائية تظل وسيلة فعالة وشكلا أدبيا واسع الانتشار بين البشر على اختلاف ثقافاتهم..وليس مهما أن تكون الأسطورة متضمنة للحقيقة المتطابقة مع الواقع..ولكن المهم فيها هو الرسالة الرمزية التي تحملها من أجيال إلى أخرى..ويرى ميرسيا إلياد 1986 أن الأسطورة ليست حٍكْرا على الماضي فإن الإنسان ما انفك يخترع الأساطير ، والأسطورة ما زالت تؤدي وظيفتها القديمة ولكن في أشكال جديدة تناسب عصر التقدم العلمي ونمط الحياة العصرية . إن الأسطورة تؤدي هذه الوظيفة في شكل الكتابات الأدبية كالرواية والقصة الشعر، وفي أشكال الفن المختلفة كالأفلام والأشرطة المصورة ...إن الأسطورة ما انفكت تخلد أبطال التاريخ وتصلهم بالحاضر ، ومن هنا يُفهم قول " رولان بارت" :. " إن الأسطورة رسالة "  le mythe est un message  في كتابه  ( ميثولوجيات) فالأسطورة رسالة تتناقلها الأجيال ليستمر التواصل بين أفرادها..وبين الجماعات.. يُرجع إلى :

***1 عبد السلام عشير*** : الكفاية التواصلية، اللغة وتقنيات التعبير التعبير والتواصل ، 2007  المغرب

2 أحمد عزوز : الاتصال ومهاراته، وهران 2006

3محمد علي البدوي : دراسات سوسيو إعلامية ، بيروت 2007

4 رولان بارت : قراءة جديدة للبلاغة القديمة ، 2011 ترجمة عمر أوكان المغرب.